SS

المسؤولية والإنصاف والاهتمام بعامة الناس ف عهد الإمام علي لمالك الأشتر

عبد الله بن محمد الشاذلي

ss

١٤٤٠/٠٣/١٨

إهداء

إلى معلم الخير ، ومفتاح البركة ، أمين الله على وحيه ، ونجيبه من خلقه ، وصفيه من عباده ، من علم الناس كيف تقام العدالة وكيف ينصف الناس بعضهم بعضا ،أفضل من حمل المسؤولية ، من كاد من اهتمامه بالناس أن يقتل نفسه حسرة عليهم أن لا يكونوا مؤمنين ، من قال الله فيه وإنك لعلى خلق عظيم ، سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم

وإلى تلميذه الأول ، منتهي الكمال البشري وصوت العدالة الإنسانية ، من كل المبدعين في شتى العلوم الإنسانية عالة عليه ، من أرسى قوانين العدل ، ودولة الحق ، وكان مثالا للإنصاف ، والجود ، والأخلاق ، علي بن أبي طالب عليه السلام

إليهما أهدي هذا البحث المتواضع

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه

وبعد فهذه رسالة أحاول فيها بذل المجهود في دراسة ما تضمنه عنوان الدراسة وهو (المسؤولية، والإنصاف، والاهتمام بعامة الناس في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر .

وهذه الرسالة تأتي ضمن (المؤتمر العلمي الأول للارتقاء بالعمل المؤسسي في ضوء عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر) .

وهذا العهد هو ضمن كتاب نهج البلاغة الذي ألفه الشريف الرضي كمختارات من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد ركز فيه على اختيار ما هو متناه في البلاغة من كلامه عليه السلام ، وقد شرح هذا الكتاب الذي يدخل هذا العهد في ضمنه شروحا كثيرة ، كان أعظمها وأدقها شرح أبن أبي الحديد

أما هذا العهد فقد شرح بعدة شروح تتناوله جميعه ، أو تتناول جزءا معينا منه ، وقد حاولت أن أحصل على بعض منها عبر النت ولم يتسن لي من ذلك إلا القليل ؛ لكون أكثر الكتب لا يمكن تنزيله ، أو غير معروض في النت ، ومن الشروح الجميلة التي تعرضت لشرح هذا العهد كتاب (الراعي والرعية)

وكتاب الإدارة ونظام الحكم في عهد الإمام علي لمالك الأشتر تأليف الشيخ سجاد الربيعي إصدار مؤسسة نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة .

وكتاب عهد الإمام علي لمالك الأشتر دراسة تاريخية موضوعية تأليف الدكتور حيدر حسين حمزة .

ومع بحثي عبر النت ، لم أجد من تعرض لبحث عنوان هذه الدراسة لوحدها ، ولا حتى في ضمن شرحه لكل العهد ، مع ما يحمله من أهمية ولكن لعل أهم أسباب ترك بحث مثل هذه المواضيع هو معرفة الباحثين مسبقا أن بحثه لن يطبق منه على أرض الواقع شيء ، وأن الأمة لن تجني

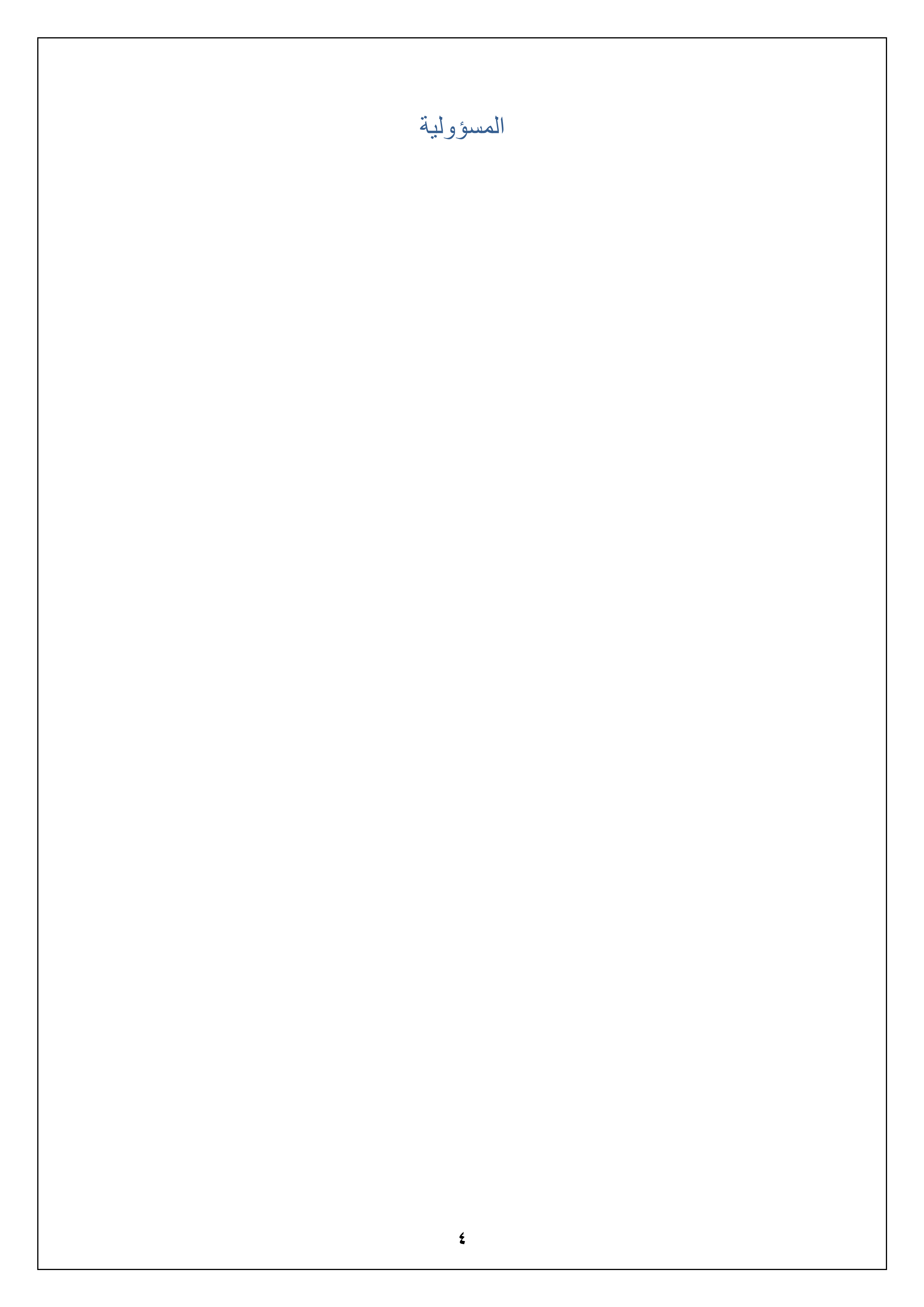
من بحثه شيئا ملموسا في واقعها ؛ بسبب تسلط الطغاة والظلمة على هذه الأمة في أغلب أزمنتها إلا ما ندر من الأزمنة والبلدان .

وتأتي أهمية هذا البحث من حاجة اليمن بعد ثورة ٢١ من سبتمبر المباركة إلى إصلاحات جذرية وجادة لمؤسسات الدولة وقوانينها .

ومن كون اليمن واليمنيين متعلقين بأمير المؤمنين عليه السلام تعلقا يختلف عن تعلق سائر الشعوب به عليه السلام ، فاستجابتهم لدعوة الإسلام طوعا كانت على يديه عليه السلام .

ومن كون كلام أمير المؤمنين عليه السلام في الواقع مستوحى ومأخوذا من كلام من لا ينطق عن الهوى ، وهو سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ الذي هو من وحي الله سبحانه وتعالى ؛ لكون علي عليه السلام باب مدينة علمه صلى الله عليه وعلى آله وسلم

فكل هذه الأسباب مجتمعة حدت بي إلى تقديم رسالتي هذه ، آملا أن تسهم في الارتقاء بالعمل المؤسسي في ما يراد لهذه البلاد من بناء دولة ترعى وتنشد مصالح وكرامة وعزة أهلها .



المسؤولية

(قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ الحجر: ٢٩

58

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ النساء:٤١

) (قَالَ تَعَالَىٰ:﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ال نساء:ٱلرَّحْمَٰنِ

﴿٩٢﴾﴾ ال حجر: ٢٩قَالَ تَعَالَىٰ:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ آل عمران: ١١٠

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ال مائدة: 97

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾

مريم: ٥٥

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ الرعد: ١١

قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٥٣﴾ الأنفال:٣٥

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ الأحزاب: ٥

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ الزلزلة: ٧ قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٥٣﴾ ٣٥

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ الزلزلة: ٨

قلوبكم) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ آل عمران:

140قَالَ تَعَالَى: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ المائدة: ٩٧

المصدر الصناعي

يصاغ من اللفظ مصدرا يسمى المصدر الصناعي ، ويكون بزيادة ياء مشددة بعدها تاء ، كالحرية ، والإنسانية ، والحَجَريّة ، والوطنيّة ، والهمَجيّة ، والمدنيّة ، والمسؤولية[١]

المسؤولية : التبعة ، تقول : أنا بريء من مسؤولية هذا العمل .

والمسؤول من الرجال هو : المنوط به عمل تقع عليه تبعته .

ويشترط في المسؤولية الحقيقية أن يكون هناك قانون يأمر بالفعل ، أو بالترك ، وأن تكون مخالفة المرء لما يأمر به القانون صادرة عن إرادته .

وتنقسم المسؤولية إلى مسؤولية مدنية ، ومسؤولية جنائية ، ومسؤولية أخلاقية[٢].

المسؤولية : عرفها مجمع اللغة العربية بالقاهرة بأن المسؤولية هي بوجه عام : وضع من يمكن أن يسأل عن أمر ما صدر عنه ، وهي أنواع مختلفة كالمسؤولية الوزارية ، والمسؤولية الإدارية .

ثم قال : ٩٣٨ ـ مسؤولية أخلاقية : أهلية العاقل للجزاء على أفعاله الاختيارية فهي تفترض القدرة على الاختيار ، وعلى ذلك لا تستوجب الأفعال الضرورية أو القهرية أي مسؤولية .وتفترض المسؤولية الأخلاقية العقل والرويّة ، فمن فقدهما ؛ فلا مسؤولية عليه[٣] .

ويطلق اصطلاح الشعور بالمسؤولية على إدراك الفاعل لقيمة عمله ، وعزمه على الاضطلاع به ، ولهذا الشعور بالمسؤولية جانبان : أحدهما متعلق بالماضي ، وهو شعور المرء بالأخطاء التي ارتكبها في بعض مراحل حياته ، والآخر يتعلق بالمستقبل ، وهو : شعور المرء بوجوب

---

١) معجم القواعد العربية / عبد الغني الدقر ص ٤٧ ج ٢٥ | المكتبة الشاملة

٢) جميل صليبا / المعجم الفلسفي / ص ٣٦٩ الجزء ٢ / دار الكتاب اللبناني / مكتبة المدرسة ، بيروت ، لبنان

٣) المعجم الفلسفي / إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة / الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية / ط ١٩٨٣ م

اضطلاعه ببعض الأعمال المنتظرة، وإقدامه على تحصيل بعض النتائج المرجوة[٤] .

المسؤولية : لم يرد استعمالها بهذا اللفظ في كتب العلماء المتقدمين من المسلمين ، واستعملت حديثا بكثرة بالمعاني المتقدمة ، وهي في الأصل مأخوذة من المسألة بمعنى المؤاخذة ، وقد وردت في القرآن بنفس المعنى ومن نفس الاشتقاق (وقفوهم إنهم مسؤولون) (فوربك لنسألنهم أجمعين) (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم مما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون)

العهد

العهد يعتبر مسؤولية الحاكم العادل ؛ فعليه أن يرسم لمن هو تابع له في العمل الخطوط العريضة ، ويرشده إلى كل أمر يحتاجه ، وهذا يشبه أن يكون دستورا رسمه لعامله على مصر ، يخلي فيه مسؤوليته من ما ذكره فيه ، ويحمل المعهود إليه المسؤولية ، وفيه يعين الأمور التي ولى عامله عليها في تلك البلاد بقوله : «جباية خراجها ، وجهاد عدوها ، واستصلاح أهلها ، وعمارة بلادها ».

المسؤولية الدينية لشخص الوالي

ذكر عليه السلام مسؤولية الوالي بالنسبة لربه ؛ لأن ذلك مما يساعد في حمل المسؤولية ، والقيام بها على أكمل وجه ؛ نظرا لما يمثله الشعور بالرقابة الإلهية من الحافز على فعل الحسن ، وترك القبيح ، ولما يشعر به الإنسان معه من الرجاء للثواب ، والخشية للعقاب ؛ فقال :((أمره بتقوى الله ، وإيثار طاعته ، واتباع ما أمر به في كتابه ، من فرائضه ، وسننه ، التي لا يسعد أحد إلا باتباعها ، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها ، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ، ويده ، ولسانه ؛ فإنه ، ـ جل اسمه ـ قد تكفل بنصر من نصره ، وإعزاز ، من أعزه)).

ولأن العزة ، والنصر أعظم مبتغيات أي متول ؛ فقد أتى له عليه السلام بأهم مصدر للنصر والعزة وهو : أن ينصر الله بقلبه ، ويده ، ولسانه .

---

٤) جميل صليبا / المعجم الفلسفي / دار الكتاب اللبناني / مكتبة المدرسة / بيروت ، لبنان / ص ٣٧٠ / الجزء ٢

ومصداق هذا في كتاب الله ، قال تعالى : (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) وقوله تعالى : (أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا) (العزة لله ولرسوله وللمؤمنين) وكلام أمير المؤمنين عليه السلام هنا يؤكد أن النصر لله المراد في كتاب الله ، لا بد أن يكون صادرا من القلب واللسان ، واليد ؛ فلا يكفي فيه الظاهر ، بل لا بد أن يطابق فيه القول والفعل القلبَ .

ومنها قوله ((فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة[٥] العمل الصالح)).

والعمل الصالح هنا ما يقابل الفاسد ؛ فإصلاح المؤسسات ، وأحوال الناس ، ينبغي أن يكون أهم ذخيرة له : أي أهم ما يحب أن يبقى له ، ويذكر عنه في الدنيا والآخرة .

ثم يبين له أن المعيار في صلاحه وفساده عند الناس ، هو نفس المعيار الذي كان هو والناس يقيسون به صلاح وفساد من قبله من الولاة ؛ فعليه أن يجعل هذا مستصحبا معه في ولايته ؛ لأن النفس كثيرا ما تغفل عن معائبها ، وكثيرا ما تبصر معائب الآخرين ، فنبهه على هذا المعيار الذي سيخرجه من هذه الغفلة .

فقال : ((ثم اعلم يا مالك ، أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك ، من عدل ، وجور ، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ، ويقولون فيك : ما كنت تقول فيهم ، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده)).

وفي هذا أيضا تنبيه على أن عباد الله الصالحين يستدل بكلامهم على صلاح الوالي وفساده ، وأخذتُ اشتراطَ الصلاح في العباد من الإضافة في قوله : (عباده) ؛ ولأن الفاسدين إنما يكرهون الصلاح ، ويحبون الفساد ؛ فلا عبرة بكلامهم .

---

٥) ذخر الشيء واذخره : خبأه لوقت حاجته / الزمخشري / أساس البلاغة

وقال في موضع آخر ((فإنك فوقهم ، وولي الأمر عليك فوقك ، والله فوق من ولاك وقد استكفاك أمرهم ، وابتلاك بهم . ولا تنصبن نفسك لحرب الله فإنه لا يد لك بنقمته ، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته)) .

وهنا ينبه عليه السلام أن الولاية بلوا ، وليست فرصة ؛ فعلى الوالي أن يكون خوفه من نتائجها أكثر من طمعه في مكاسبها .

ثم يبين ويؤكد عظم مسؤولية الولاية ؛ بأنه لا مخرج من تبعاتها إلا بالهمة العالية وهي لا تكفي ، بل لا بد من الاستعانة بالله ، كما هو شأن العبادات (إياك نعبد وإياك نستعين) .

فيقول :((وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله ، وتوطين نفسه على لزوم الحق ، والصبر عليه في ما خف عليه أو ثقل)).

ثم قال : ((ولا تنصبن نفسك لحرب الله ، فإنه لا يدي لك بنقمته ، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته)).

قوله (لا تنصبن نفسك لحرب الله) أي : لا تبارزه بالمعاصي[٦]

العبادة

((وليكن في خاصة ما تخلص به لله دينك : إقامة فرائضه التي هي له خاصة ، فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ، ووفّ ما تقربت به إلى الله من ذلك كاملا غير مثلوم ولا منقوص ، بالغا من بدنك ما بلغ .

وإذا قمت في صلاتك للناس ، فلا تكونن منفرا ، ولا مضيعا ، فإن في الناس من به العلة وله الحاجة . وقد سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ حين وجهني إلى اليمن كيف أصلي بهم ؟ فقال : صل بهم كصلاة أضعفهم ، وكن بالمؤمنين رحيما)).

---

٦) ابن أبي الحديد / شرح نهج البلاغة / بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / دار إحياء الكتب العربية / الطبعة الثانية / ١٩٦٧ م ـ ١٣٨٧ هـ / / ج ١٧ ص٣٣ /

الأخلاق

وهنا يحذره من أخلاق قد تخل بعمله ، كالعجب ، وحب الثناء ، والعجلة والتهاون ، والاستمرار على الخطأ بعد ظهوره

فيقول :((وإياك والإعجاب بنفسك ، والثقة بما يعجبك منها ، وحب الإطراء ، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين)) .

((وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها ، أو التسقط[٧] فيها عند إمكانها ، أو اللجاجة فيها إذا تنكرت ، أو الوهن عنها إذا استوضحت . فضع كل أمر موضعه ، وأوقع كل أمر موقعه)).

وهنا يحذره أن لا يتخذ قرارا ساقته إليه الحمية ، أو امتلاك القوة ؛ فعليه أن يجعل ذلك صادرا من العقل ، وعن الدراسة المتأنية فقال : ((املك حمية[٨] أنفك ، وسورة حدك[٩] ، وسطوة يدك ، وغرب[١٠]لسانك ، واحترس من كل ذلك بكف البادرة[١١] ، وتأخير السطوة[١٢] ، حتى يسكن غضبك ، فتملك الاختيار : ولن تحكم ذلك من نفسك ؛ حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك)) .

وينبهه على أن ذلك لن يتم له إلا بجعل المعاد الذي هو يوم القيامة أمام ناظريه عند كل قرار يتخذه ، وكل فعل ينفذه .

مسؤولية الوالي في ما يصعب حله من المسائل

((واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك[١٣] من الخطوب ، ويشتبه عليك من الأمور ؛ فقد قال الله لقوم أحب إرشادهم : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله

---

٧) التسقط وفي بعض النسخ التساقط واختلف الشراح في شرحه ولم أعثر على معناها في ما لدي من المعاجم فابن أبي الحديد يريد أنه بمعنى الشره والتهور في الشيء عند إمكانه والشيخ محمد عبده يريد أنه من التهاون والتكاسل في الأمر عند إمكانه وأنا أميل إلى ما قاله الشيخ محمد عبده .

٨) وحميت من هذا الشيء أحمى منه حمية أي : أنفت أنفا وغضبا / الخليل بن أحمد / كتاب العين

٩) ذو سورة في الحرب ، أي : ذو بطش شديد / الخليل بن أحمد / كتاب العين

١٠) كففت من غربه أي : من حدته / الزمخشري / أساس البلاغة . الغرب التمادي وهو اللجاجة في الشيء / الخليل بن أحمد / كتاب العين .

١١) وهو مخشي ، البادرة وأنا أخاف بادرته ، وهي : ما يبدر منه عند حدته . / الزمخشري / أساس البلاغة

١٢)السطو البسط على الناس من فوق بقهرهم ، والسطو شدة البطش . / الخليل بن أحمد / كتاب العين

١٣) وحمل مضلع ، أي : مثقل . واضطلعت بهذا الحمل ، أي احتملته أضلاعي . / الخليل بن أحمد / كتاب العين .

وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه ، والرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة)).

في هذا المقطع الصغير في لفظه ، والكبير في معناه يحدد عليه السلام الخطوط العريضة للاستنباط ، والاجتهاد ، وحل مسائل الخلاف ، بأنه بالنسبة للقرآن هو : الأخذ بالمحكم ، وهذا باب معروف ، أعني باب المحكم والمتشابه ، لن نطيل بتفصيلاته هنا لبعده قليلا عن موضوعنا ، وهو (الارتقاء بالمؤسسات في ضوء عهد الإمام علي ـ عليه السلام ـ) وبالنسبة لما أثر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ (السنة النبوية) فقد أمره بالأخذ بالسنة الجامعة غير المفرقة ، وتعني هنا أنها السنة التي اجتمعت الأمة على روايتها ، دون ما تفرقت فيه من الرواية ، ولو أخذت الأمة الإسلامية بهذا المعيار ؛ لاتحدت أقوالها ، واجتمع شملها ، وزال الخلاف في ما بينها .

مسؤولية الوالي عن أعمال من سبقه من الصالحين

((والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك ، من حكومة عادلة ، أو سنة فاضلة ، أو أثر عن نبينا ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ أو فريضة في كتاب الله ؛ فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها ، وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا ، واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك ؛ لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها)) .

هنا نبهه على ما مضى عليه من كان قبله ، ولكنه لم يجعل تقدمهم عليه يوجب عليه إتباعهم إلا بعد معرفة ما فعلوه ، أصواب هو أم خطأ ؛ ولهذا قال عليه السلام : (من حكومة عادلة ـ فاشترط فيها العدل ـ أو أثر عن نبينا ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ أو فريضة في كتاب الله) وما كان في كتاب الله أو أثر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ فواضح وجوب إتباعه .

((وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات ، ويزعها[١٤] عند الجمحات[١٥] ؛ فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي)) .

ومنه قوله :((فاملك هواك ، وشح بنفسك عما لا يحل لك ؛ فإن الشح بالنفس الإنصاف منها في ما أحبت أو كرهت)) .

ثم قال : ولا تقولن :((إني مُؤمّر آمرُ فأطاع ؛ فإن ذلك إدغال[١٦] في القلب ومنهكة[١٧] للدين ، وتقرب من الغِيَر)).

((وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة[١٨] أو مخيلة[١٩] ، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك ، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك ؛ فإن ذلك يطامن[٢٠] إليك من طماحك[٢١] ، ويكف عنك من غربك[٢٢] ، ويفيء[٢٣] إليك بما عزب[٢٤] عنك من عقلك ،))

ثم أمره عند حدوث الأبهة والعظمة عنده لأجل الرئاسة والإمرة أن يذكر عظمة الله تعالى وقدرته على إعدامه وإيجاده ، وإماتته وإحيائه ؛ فإن تذكر ذلك يطامن من غلوائه ، أي يغض من تعظمه وتكبره ، ويطأطئ منه .[٢٥]

((إياك ومساماة[٢٦] الله في عظمته ، والتشبه به في جبروته ، فإن الله يذل كل جبار ، ويهين كل مختال)).

---

١٤) الوزع كف النفس عن هواها / الخليل بن أحمد / كتاب العين .
١٥) وفلان جموح وجامح راكب لهواه / الزمخشري / أساس البلاغة .
١٦) الدغل دخل مفسد في الأمور / الخليل بن أحمد / كتاب العين .
١٧) النهك : التنقص ، / الخليل بن أحمد / كتاب العين .
١٨) الأبهة العظمة . / الخليل بن أحمد / كتاب العين
١٩) والخال والخيلاء الكبر تقول منه : اختال فهو ذو خيلاء وذو خال وذو مخيلة أي ذو كبر . / الجوهري / الصحاح .
٢٠) أطمأن الرجل ، واطمأن قلبه ، واطمأنت نفسه إذا سكن واستأنس . / الخليل بن أحمد / كتاب العين
٢١) طمح بصره إلى الشيء ارتفع وكل مرتفع طامح ، ورجل طماح أي : شرِه / الجوهري / الصحاح .
٢٢) كففت من غربه أي : من حدته / الزمخشري / أساس البلاغة . الغرب التمادي وهو اللجاجة في الشيء / الخليل بن أحمد / كتاب العين .
٢٣) وفاء إلى الله فيئة حسنة إذا تاب ورجع ./ الزمخشري / أساس البلاغة .
٢٤) وكل شيء يفوتك حتى لا تقدر عليه فقد عزب عنك . / الخليل بن أحمد / كتاب العين .
٢٥) ابن أبي الحديد / شرح نهج البلاغة بتحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم / دار إحياء الكتب العربية / الطبعة الثانية / ١٩٦٧ م ـ ١٣٨٧ هـ / / ج ١٧ ص ٣٣

وهنا يخوفه من التعاظم الذي كثيرا ما يحدث للولاة عند استتباب الأوضاع لهم ، ويقول له : بأن ذلك مباراة لله في العلو ، وتشبه به في صفة يختص بها ، وهي الجبروت ، وأن عاقبة ذلك حدوث الذل والإهانة من الله الذي لا راد لما أراد .

ثم قال :((ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ، ومن خاصمه الله أدحض[٢٧] حجته ، وكان لله حربا حتى ينزع[٢٨] ، و يتوب)) .

ثم خوفه من الظلم ، وأن الله خصيم من ظلم عباد الله ، وأن من خاصمه الله أدحض حجته ، بمعنى جعلها باطلة ، لا تفيد صاحبها ، وأعظم من ذلك كونه حربا لله حتى يترك الظلم ، ويتوب إلى الله منه .

((وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله ، وتعجيل نقمته ، من إقامة على ظلم ، فإن الله سميع دعوة المضطهدين ، وهو للظالمين بالمرصاد)).

ثم يحذره من خطورة أخرى تأتي من الظلم ، وهي : تغيير النعم ، وتعجيل النقم ، والظالم إنما يظلم ليوفر لنفسه نعما ، ويدفع عن نفسه نقما ، وأخبره أن سبب ذلك إجابة الله لدعوة المضطهدين ، وكونه للظالمين بالمرصاد .

مسؤولية الوالي في المستشارين

يقول عليه السلام :((ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ، ويعدك الفقر ، ولا جبانا يضعفك عن الأمور ، ولا حريصا يزين لك الشره بالجور ؛ فإن البخل والحرص غرائز شتى ، يجمعها سوء الظن بالله .))

الصفات القانونية التي تعتبر الآن في الوظيفة العامة أو الخاصة لا تكفي ، بل لا بد من توفر صفات خُلُقية ، وانتفاء صفات خُلُقية أيضا ، فالبخل والجبن ، والحرص صفات مهمة في المستشار ، تؤدي إلى خلل كبير ، بترك الفضل ، والتخويف بالفقر ، والضعف عن الكثير من القرارات والحرص على ما ينبغي تركه ، وكل ذلك بسبب سوء الظن بالله ؛ فلا بد

---

٢٦) المساماة مباراة الله في السمو الذي هو : التعالي .
٢٧) الدحض : الزلق . ودحضت حجته أي : بطلت ./ الخليل بن أحمد / كتال العين .
٢٨) ونزعت عن كذا نزوعا ، أي : كففت . / الخليل بن أحمد / كتاب العين .

في المستشار من أن يكون قويا في دينه ، وأن تكون علاقته بربه متينة متزنة .

مسؤولية الوالي في الوزراء

((إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيرا ، ومن شركهم في الآثام ؛ فلا يكوننّ لك بطانة ؛ فإنهم أعوان الأثمة ، وإخوان الظلمة ، وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم ، وليس عليه مثل آصارهم[٢٩] ، وأوزارهم ، وآثامهم ، ممن لم يعاونوا ظالما على ظلمه ، ولا آثما على إثمه : أولئك أخف عليك مؤونة[٣٠] ، وأحسن لك معونة ، وأحنى[٣١] عليك عطفا ، وأقل لغيرك إلفا ، فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ، ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك ، وأقلهم مساعدة في ما يكون منك مما كره الله لأوليائه ، واقعا ذلك من هواك حيث وقع)).

كثيرا ما يقع للوالي الاعتماد على من اعتمد عليهم سابقوه ؛ لأمور ، منها أنهم مظنة الخبرة بطول العمل ، ومنها أنهم قد صاروا أصحاب جاه ومكانة يمكنه الاستفادة منها ، وغير ذلك ؛ فنبهه على أنهم إذا كانوا وزراء للأشرار ؛ فقد اكتسبوا منهم شؤم الظلم والإثم ، اللذان عاقبتهما النقمة من الله كما مر ، كما نبهه بأنه سيجد بديلا عنهم ، لهم نفس العقول والذكاء وأن مؤونتهم ستكون أخف منهم ؛ بسبب بعدهم عن الترف ، بعكسهم ،وأن معونتهم ستكون أقوى واكبر من أولئك ؛ بسبب أن المترفين أقل الناس عملا وإنتاجا ، وأيضا في هؤلاء صفات مهمة ، أن عاطفتهم تجاه الوالي قوية ، ولم يحصل لهم تعلق بغيره ،وشدد عليه في أن يخص من هؤلاء أكثرهم قولا بمر الحق للوالي ، وهذا ما يحدث عكسه في الولاة ، يقربون ويختصون بمن يكيل المدائح لهم ؛ لكون ذلك محببا لنفوسهم ؛ لكن هذا يجب أن يخالف ؛ لما فيه من خير للوالي ، وصلاح لدنياه وآخرته .

---

٢٩) الإصر الثقل ./ الخليل بن أحمد / كتاب العين .
٣٠) مانه يمونه مونا ، إذا احتمل مؤونته وقام بكفايته . / الجوهري / الصحاح .
٣١) حنوت عليه ، أي : عطفت / الجوهري / الصحاح .

مسؤولية الوالي في الجلساء

((والصق بأهل الورع والصدق ، ثم رضهم[٣٢] على أن لا يطروك[٣٣] ولا يبجحوك[٣٤] بباطل لم تفعله ، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو[٣٥]، وتدني من العزة .))

الورع يكون عن المحارم والمقبحات والصدق يكون في الكلام والمواقف ومن تفاصيله أن لا يطروه أي : يمدحوه بباطل ، ولا يفرحوه بباطل أيضا لم يكن منه فعله فإن كثرة الإطراء تتسبب في الكبر والفخر وتقرب من العزة وهي التمنع عن الخضوع للحق .

((ثم الصق بذوي المروءات والأحساب ، وأهل البيوتات الصالحة ، والسوابق الحسنة ؛ ثم أهل النجدة[٣٦] والشجاعة ، والسخاء ، والسماحة ؛ فإنهم جماع من الكرم ، وشعب من العرف)) .

المروءة كمال الرجولية[٣٧] والحسب : ما يحسبه الإنسان ويعده من مفاخر آبائه[٣٨]، هاتان الصفتان ، وما بعدهما من الصفات ، من الدوافع التي تدفع الإنسان إلى المحافظة على ما يعدّه مفخرة ، مما حافظ عليه آبائه وفيها اجتناب الكثير من المقبحات ، والصبر على الكثير من المشاق التي تحمد عقباها ، ولا شك أن ملاصقة من هذا شأنه تجعل الإنسان أكثر قربا من الأفعال والأخلاق الحسنة ، والابتعاد عن كل ما هو قبيح .

مسؤولية الوالي في الجنود وقيادتها

((فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك ، وأنقاهم جيبا ، وأفضلهم حلما ، من يبطئ عن الغضب ، ويستريح إلى العذر ، ويرأف بالضعفاء وينبو على الأقوياء ، وممن لا يثيره العنف ، ولا يقعد به الضعف)).

---

٣٢) رضت الدابة أروضها رياضة أي : علمتها السير . / الخليل بن أحمد / كتاب العين .
٣٣) وأطرى فلان فلانا : مدحه بأحسن ما يقدر عليه . / الخليل بن أحمد / كتاب العين .
٣٤) وبجحني فبجحت ، أي : فرحني ففرحت . /الخليل بن أحمد / كتاب العين
٣٥) والزهو : الكبر والفخر / الجوهري / الصحاح .
٣٦) ويقال : رجل نجد في الحاجة ، إذا كان ناجيا فيها ، أي سريعا ./ الجوهري / الصحاح في اللغة .
٣٧) الخليل بن أحمد / كتاب العين .
٣٨) الزمخشري / أساس البلاغة .

من الصفات التي يجب أن تتوفر في قائد الجيش ـ وقد ركز أمير المؤمنين هنا على ما يهمله الناس من الصفات ـ النصح لله ، وللرسول ، ولإمام الأمة ، وأن يكون من أنقى الجنود والقواد جيبا ، ومعنى هذا : أن يكون أعفهم عن المال الحرام أو الممنوع ، وأن يكون أفضلهم حلما ، وقد فسره بما بعده ، وهو : أنه يبطئ عن الغضب ، بمعنى أنه ليس سريع الرد على ما يغضبه ، بل لا يعاقب إلا بعد تأن ، ونظر ، وروية ، ويكون ممن يعجبه الأعذار من المخطئين ، ويستريح إليها ؛ وكأنه كان يبحث عنها ويرأف بالضعفاء ، وينبو على الأقوياء ، بمعنى أنه لا تمنعه قوتهم من الانتصاف للمظلومين منهم ، أو أنه ينفر عنهم ، وهو كذلك لا يثيره العنف ؛ فيخرجه عن الصواب ، ولا يقعد به الضعف عن ما ينبغي أن يفعله .

الجنود

((ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما ، ولا يتفاقمن[٣٩] في نفسك شيء قويتهم به ، ولا تحقرن لطفا تعاهدتهم به وإن قل ؛ فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك ، وحسن الظن بك.))

هذه النصائح يبدو أنها للقائد الأعلى للقوت المسلحة ، ولأي قائد فهو يأمره أن يكون الجنود منه بمنزلة أولاده ؛ فعليه أن يتفقد كل أمر يهمهم ، وأن لا يعظم عليه وفي نفسه أي شيء قواهم به ، مهما عظم ، ولا يستصغر أي بر برهم به فيترك تقديمه لهم استصغارا له ؛ فإن كل ذلك سيدعوهم إلى بذل النصيحة التي يحتاجها أي قائد من جنده مهما كان ثمنها .

((ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالا على جسيمها ، فإن لليسير من لطفك موضعا ينتفعون به ، وللجسيم موقعا لا يستغنون عنه)) .

لا تترك الاهتمام بالأمور البسيطة اتكالا على أنك وفرت لهم الأمور المهمة والعظيمة ؛ فإن البسيط من اللطف له مكان من النفع في حالهم ، كما أنه لا يمكن أن يستغنوا عن العظيم من المنافع ؛ بسبب توفير البسيط .

---

٣٩) تفاقم الأمر أي : عظم . / الجوهري / الصحاح في اللغة ،

تفاضل القواد

((وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته ، وأفضلَ عليهم من جدته ، بما يسعهم ويسع من ورائهم من خلوف[٤٠] أهليهم ؛ حتى يكون همهم هما واحدا في جهاد العدو؛ فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك)).

هذا معيار منه عليه السلام لمن يقدم عند الوالي من قواد الجند ، وهذه المعايير هي معايير أخلاقية ، فمن كان سخيا مع جنوده حتى يفضل عليهم وعلى من ورائهم من عوائلهم حتى لا يكون لهم هم غير ما هم فيه من جهاد أو عمل فيجب أن يكون هو المقدم عنده .

مسؤولية الوالي في مبدأ الثواب والعقاب

((ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ؛ فإن في ذلك تزهيدا لأهل الإحسان في الإحسان ، وتدريبا لأهل الإساءة على الإساءة ، وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه)).

التسوية بين المحسن والمسيء مما يقوض دعائم أي نظام ويخربها ؛ لجعلها المحسن يرى الإحسان لا يساوي اهتمامه به ، وصبره عليه ، كما أنه يروض ، ويدرب المسيء على أن يستمر في إساءته . ومن العدل أن يلزم كل منهم بما فعله .

المسؤولية في ما يتعلق بأهل الخبرات

((وأكثر مدارسة العلماء ، ومناقشة الحكماء ، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك ، وإقامة ما استقام به الناس قبلك)).

هذا توجيه له بأن يكون كل قرار عن علم ومعرفة ، ومبني على أسس علمية صحيحة ، فعليه أن يتدارس مع أهل الخبرة ، الدينية أو غيرها ، كلا في ما يخصه ، ما يثبت الأمور التي تصلح عليها البلاد ، وما يستقيم به أمر الناس خاصتهم ، وعامتهم .

مسؤولية الوالي في القضاء والقضاة

((ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ، ممن لا تضيق به الأمور ، ولا تمحكه[٤١] الخصوم ، ولا يتمادى في الزلة ، ولا يحصر من

٤٠) والحي خلوف أي : رجالهم غيب . / الزمخشري / أساس البلاغة .

الفيء[٤٢] إلى الحق إذا عرفه ، ولا تشرف[٤٣] نفسه على طمع ، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه .

وأوقفهم في الشبهات ، وآخذهم بالحجج ، وأقلهم تبرما[٤٤] بمراجعة الخصم ، وأصبرهم على تكشف الأمور ، وأصرمهم[٤٥] عند اتضاح الحكم ، ممن لا يزدهيه[٤٦] إطراء ، ولا يستميله إغراء ، وأولئك قليل .

ثم أكثر تعاهد قضائه ، وافسح له في البذل ما يزيل علته ، وتقل معه حاجته إلى الناس .

وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك .

فانظر في ذلك نظرا بليغا ؛ فإن هذا الدين قد كان أسيرا في أيدي الأشرار ، يعمل فيه بالهوى ، وتطلب به الدنيا)) .

لما كان القضاء من أهم مرتكزات الحكم ، شدد عليه السلام في شروط من يتولاه ، ومعظم ما ذكره شرائط لا يلتفت إليها غير أمير المؤمنين عليه السلام ، لا في القديم ، ولا في الحديث ، وهي كلمات وشرائط واضحة وما لم يتضح منها عمدنا إلى توضيحه من المعاجم ، وأثبتنا ذلك في الهامش ، وما يهم من ذلك بشكل كبير هو أمرين ذكرهما وهما : البذل له حتى تسد حاجته فلا يمكن استمالته بالمال .

والثاني : هو أن يجعل له مكانة عنده حتى يأمن من الوشاية به عند الوالي من قبل المتنفذين .وهذا هو ما يعبر عنه في الوقت الحاضر باستقلال القضاء ، مع بعض الاختلاف .

---

٤١) المحك التمادي في اللجاجة عند المساومة والغضب ونحوه . / الخليل بن أحمد / كتاب العين
٤٢) وفاء إلى الله فيئة حسنة إذا تاب ورجع ./ الزمخشري / أساس البلاغة
٤٣) استشرفت الشيء إذا رفعت بصرك تنظر إليه . / الجوهري / الصحاح .
٤٤) وبرمت بكذا ، أي : ضجرت منه برما ./ الخليل بن أحمد / الصحاح .
٤٥) ورجل صارم : ماض في الأمور ./ الزمخشري / أساس البلاغة .وصرم الرجل صرامة فهو صارم : ماض في أمره . / الخليل بن أحمد / كتاب العين .
٤٦) ازدهاني كذا استفزني وفلان لا يزدهيه وعيد . / الزمخشري / أساس البلاغة

وأنا أشدد هنا المطالبة للجهات المختصة ، العمل على جعل هذه الشرائط ضمن من يتقدم للقضاء ، وإن كان أمير المؤمنين عليه السلام قال بعد ذكر أوصافهم : وأولئك قليل .

وأيضا فقد ذكر أن على الوالي بعد اختيار القاضي بتلك المواصفات أن يتعاهد قضائه ، ومعنى ذلك أن يجدد الاطلاع على ما يقضي به القاضي رقابة على قضائه ، وتأكيده عليه السلام على التعهد لقضائه مع ما فيه من تلك الصفات يدل دلالة قوية على أهمية القضاء ،وأهمية الرقابة عليه ، وأهمية صلاحه ظاهرا وباطنا .

معايير الوظيفة

((ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختبارا ، ولا تولهم محاباة وأثرة[٤٧] ، فإنهما جماع من شعب الجور والخيانة . وتوخ منهم أهل التجربة والحياء ، من أهل البيوتات الصالحة ، والقدم في الإسلام المتقدمة ، فإنهم أكرم أخلاقا ، وأصح أعراضا ، وأقل في المطامع إشراقا ، وأبلغ في عواقب الأمور نظرا . ثم أسبغ[٤٨] عليهم الأرزاق ، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم ، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم ، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك ، أو ثلموا أمانتك .

ثم تفقد أعمالهم ، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم ، فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة ، والرفق بالرعية))

العمال هنا : ما يقابل المحافظ ، والمدير ، ونحوهما ، وقد حثه على أن يتوخى أهل التجربة ، وهذا المعيار كثيرا ما يشترط في وقتنا ، أما الحياء وكونه من أهل البيوتات الصالحة فلا يلتفت إليها ، مع ما لها من التأثير على عمل من تلك صفته .

أما كونهم من أهل البيوتات الصالحة ، والقدم في الإسلام ؛ فإنما ذكرهم لكون الشخص الذي تربى في بيت صلاح ، وعفة ، وحياء ، ودين سيكون

٤٧) المحاباة : المجاملة والأثرة الإنعام عليهم بالوظيفة .
٤٨) شيء سابغ : أي كامل واف . / الجوهري / الصحاح في اللغة .

أكثر صلاحا ، وأضمن نجاحا ، وحرصا على الأمة ومقدراتها ومكتسباتها .ثم ذكر أمرا مهما ، وهو أنه لابد من رقابة استخباراتية على العمال ؛ فلا تكفي الرقابة المعروفة المشهورة ؛ لكونهم سيعملون على التوقي لها والتخفي منها .

إدارة الوقت

((وامض لكل يوم عمله ، فإن لكل يوم ما فيه . واجعل لنفسك في ما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت ، وأجزل تلك الأقسام وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية ، وسلمت منها الرعية)).

مسؤولية الوالي مع أعوانه

((وتحفظ من الأعوان ؛ فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك ، اكتفيت بذلك شاهدا ، فبسطت عليه العقوبة في بدنه ، وأخذته بما أصاب من عمله ، ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة ، وقلدته عار التهمة)).

وهذا من ما يقع في عكسه الولاة ، فهو هنا يحث الوالي على أن يسرع إلى معاقبة من ظهر منه خيانة من الأعوان ، ولا يجعل كونه من الأعوان سببا للعفو عنه ، بل عليه أن يعاقبه ، ويضعه موضع الذل ،وأن يسمه بالخيانة ، ويقلده عار التهمة ؛ لينجو منها الوالي في الدنيا والآخرة ، وعند الناس وعند الله .

الزراعة والمزارعون

((وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله ، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم ؛ لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله .

وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج ، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد ، وأهلك العباد ، ولم يستقم أمره إلا قليلا .

فإن شكوا ثقلا أو علة ، أو انقطاع شرب أو بالة ، أو إحالة أرض اغتمرها غرق ، أو أجحف بها عطش ، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم

؛ ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم ؛ فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك ، وتزيين ولايتك ، مع استجلابك حسن ثنائهم ، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم ، معتمدا فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم ، والثقة منه بما عودتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم ، فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم ن بقد احتملوه طيبة أنفسهم به ؛ فإن العمران محتمل ما حملته ، وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها ، وإنما يعوز أهلها ؛ لإشراف أنفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء ، وقلة انتفاعهم بالعبر)) .

كانت مصر من البلاد الخراجية ، ومعناها البلدان التي افتتحها المسلمون عنوة ؛ فكانت أراضيها تصبح ملكا عاما للدولة ، وتبقى في أيدي أهلها على مقدار من المال معين ،يحسب على أنه إيجار الأرض ، وهنا حثه على أرض الخراج ، ومعناه كل الأرض الزراعية ، فهو هنا يأمره بأن يحرص على صلاح أهل الخراج ، وصلاح الخراج الذي به تصلح كل البلد ، وهذا يدل على أهمية الزراعة في نظر أمير المؤمنين عليه السلام خصوصا وهو يقول : وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في تحصيل الخراج ، وهو يعني أن يكون الاهتمام بالزراعة أكثر من الاهتمام بتحصيل ما يجب للدولة فيها ، وذلك لأنها إذا صلحت أمكن تحصيل المستحق منها بسهولة ، وكان وفيرا ، بعكس ما إذا أهملت فإن الكل سيتضرر ، الدولة ، والمزارعون ، والمستفيدون من الدولة ، من جنود وإداريين ، وغيرهم .

وحثه على التخفيف عنهم عند حدوث أي سبب ؛ فلا يكن همه هو ما تحصل منهم ، بل يكون همه الأعظم هو في صلاح زراعتهم ، ووفرت منتوجهم ، وطيبة نفوسهم ، وعلى هذا فالوالي ينبغي أن يكون خادما لا مسلطا .

مسؤولية الكتاب (مكتب رئاسة الجمهورية ، مكتب المحافظ ونحوها)

((ثم انظر في حال كتابك ، فول على أمورك خيرهم ، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك وأسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق ، ممن لا تبطره الكرامة ، فيجترئ بها عليك في خلاف لك بحضرة ملاء ، ولا

تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك ،وإصدار جواباتها على الصواب عنك في ما يأخذ لك ويعطي منك ، ولا يضعف عقدا اعتقده لك ، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك ، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور ، فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل .

ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك ، فإن الرجال يتعرضون لفراسات الولاة بتصنعهم ، وحسن خدمتهم ، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء)) .

يكرر الحث على اشتراط التحلي بمحاسن الأخلاق ، وأن الكاتب لا بد أن يكون عارفا بقدر نفسه غير مغرور ، ويؤكد على أنه لا بد أن يكون هناك معايير لاختيارهم ، فلا تكفي الفراسة والتجربة ؛ لكثرة تملق الناس ؛ طلبا للحصول على الوظيفة والحظوة عند الوالي ، ويحذره من أنهم قد يتصنعون في أعمالهم رغم أنه ليس في نفوسهم شيء من النصح والإخلاص .

((ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك ، فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثرا ، وأعرفهم بالأمانة وجها ، فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره . واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأسا منهم ، لا يقهره كبيرها ، ولا يتشتت عليه كثيرها ، ومهما كان في كتّابك من عيب فتغابيت عنه أُلزِمتَهُ))

جعل من المعايير التي يمكن للوالي معرفة الكتاب والموظفين بها ما ولوا للصالحين قبل هذا الوالي ، وجعل أيضا منها كونه كان أكثر الموظفين في العامة أثرا ، بمعنى أن آثاره في العامة وهم الجمهور من الرعية لا زالت باقية ، وكذلك جعل منها معرفته بوجوه الأمانة .

ثم وجهه بأن يجعل لرأس كل أمر من أموره رأسا منهم ، لا يقهره ويعجزه الكبير من القضايا ، ولا يتشتت عليه الكثير منها ، بل عنده من حسن التدبير للصعب والكبير ، والقدرة على إدارة الأمور الكثيرة وتنظيمها .

ثم أعلمه أنه مهما تغابى عنه من عيوب موظفيه ، ومن تحته فإنه سيلزمه ولن يكون التغابي مخرجا له من تبعت ما لزم من هو تابع له ، ومؤتمر بأمره .

مسؤولية التجارة والصناعة

((ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات ، وأوص بهم خيرا : المقيم منهم ، والمضطرب بماله ، والمترفق ببدنه ، فإنهم مواد المنافع ، وأسباب المرافق ، وجلابها من المباعد والمطارح ، في برك وبحرك ، وسهلك وجبلك ، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ، ولا يجترئون عليها ، فإنهم سلم لا تخاف بائقته ، وصلح لا تخشى غائلته .

وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك .))

أوصاه بالتجار ، وأهل الصناعات ، ويقصد بهم أهل الحرف وقد حثه على العناية بالتجار ، سواء المتنقل منهم ، أم التاجر الماكث مكانه ، وكذلك التجار الذين يجلبون التجارة من الأماكن البعيدة ، وأخبره بأهميتهم وأنهم أشبه بالسلم الذي لا يخشى معه خوف ، والصلح الذي لا يخشى منه نقضا .

((واعلم – مع ذلك – أن في كثير منهم ضيقا فاحشا ، وشحا قبيحا ، واحتكارا للمنافع ، وتحكما في البياعات ، وذلك باب مضرة للعامة ، وعيب على الولاة . فامنع من الاحتكار ، فإن رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – منع منه .

وليكن البيع بيعا سمحا : بموازين عدل ، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع . فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكل به ، وعاقبه في غير إسراف)).

ثم حذره بأن في التجار من هو صاحب طمع وضيق عن نفع الناس ، فعليه أن لا يسمح لهم بالزيادة في الأسعار ، ولا يمكنهم من الاحتكار ، وأخبره أن ذلك عيب في الولاة ، إذا وقع في ولايتهم ، ولا يقنن عليهم أسعارا تضر بتجارتهم ، بل يجب أن يكون ذلك بما لا يضر الجميع المبتاع والبائع .

((ولا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك ولله فيه رضى ، فإن في الصلح دعة لجنودك ، وراحة من همومك ، وأمنا لبلادك ، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه ، فإن العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن .))

قوله لا تدفعن صلحا يدل على أن العدو الذي طلب الصلح وعلى كل الأحوال فما دام الصلح فيه رضا لله عز وجل فليسارع الوالي إليه (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) مع ما فيه من الفوائد التي ذكرها عليه السلام ولكنه مع ذلك حذره من الاسترخاء حال الصلح فعليه أن يصالح ويكون حذرا مستعدا لأي بادرة تبدر من العدو .

((وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة ، أو ألبسته منك ذمة ، فحط عهدك بالوفاء ، وارع ذمتك بالأمانة ، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت ، فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعا ، مع تفرق أهوائهم ، وتشتت آرائهم ، من تعظيم الوفاء بالعهود .

وقد لزم ذلك المشركون في ما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر ؛ فلا تغدرن بذمتك ، ولا تخيسن[٤٩] بعهدك ،ولا تختلن[٥٠]عدوك ، فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي.))

وهنا يحذره من أنه لا بد من أن يحوط عهوده التي قطعها مع الأعداء حتى أن عليه أن يجعل نفسه حصنا أمام ما قطع من المواثيق والعهود حتى لا تخفر أو تنقض فإن المشركون قد لزموا ما كانوا يقطعونه من العهود لما عرفوه من سوء عاقبة الغدر ، فكيف بالمسلم الذي يحثه مع هذا التزامه الديني .

((وقد جعل الله عهده وذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته ، وحريما يسكنون إلى منعته ، ويستفيضون إلى جواره ؛ فلا إدغال[٥١] ولا

---

٤٩) ومن المجاز خاس بوعده وبعهده إذا نكث وأخلف / الزمخشري / أساس البلاغة .
٥٠) الختل تخادع عن غفلة / الخليل بن أحمد / كتاب العين .
٥١) وأدغلت في هذا الأمر أي : أدخلت فيه ما يفسده / الخليل بن أحمد / كتاب العين .

مدالسة[٥٢] ولا خداع فيه ، ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل ، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد ، والتوثقة .

ولا يدعونك ضيق أمر ، لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق ؛ فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه ، وفضل عاقبته ، خير من غدر تخاف تبعته ، وأن تحيط بك من الله فيه طلبة ، لا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك)).

يشدد عليه السلام على الوفاء بالعهد والذمة ؛ فيمنع واليه وهو في صلح مع عدوه من أن يدخل في العهد ما يفسده في الخفية أو السر ، وعليه أن لا يدلس ؛ فيجب أن يكون واضحا في كل بنود الاتفاق ، وأن لا يخدع في أي بند من البنود التي يقدمها ، وأن لا يعقد عقدا يجوز فيه العلل ، ويعني بذلك أن لا يعقد عقدا يجوز أن يحتاج إلى أن يتعلل لما ينقضه ، وعليه أن لا يعول على لحن قول ، يعني لا يعتمد على مفهوم يفهم من بنود الصلح أو الاتفاق ، فيجعل منه مدخلا للإخلال بشيء من بنوده ، وعليه أن لا يدعونه ضيق لزمه بسبب العهد إلى محاولة انفساخه ، فإن صبره على ضيق فيه الوفاء خير له من فسخ يلحقه فيه سخط الله ومقته وعقوبته .

وهنا يجب أن نقول للعالم هذا ديننا ، وإمامنا ، وإسلامنا ، لا ما رسمه الطغاة والمتأسلمون من صورة للدين الإسلامي ، فإذا كان أمير المؤمنين يؤكد على واليه هذا التأكيد في الوفاء والصدق مع عدوه ، فكيف سيكون مع من ليس عدوا .

مسؤولية الوالي في الدماء

((إياك والدماء وسفكها بغير حلها ، فإنه ليس شيء أدنى نقمة ، ولا أعظم لتبعة ،ولا أحرى بزوال نعمة ، وانقطاع مدة ، من سفك الدماء بغير حقها .

والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد ، في ما تسافكوا من الدماء يوم القيامة ؛ فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام ، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه ، بل يزيله وينقله .

---

٥٢) ودلس في البيع وفي كل شيء إذا لم يبين له عيبه / الخليل بن أحمد / كتاب العين .

ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد ، لان فيه قود البدن .

وإن ابتليت بخطاء وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبة ؛ فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة ، فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدى إلى أولياء المقتول حقهم)) .

يحذره من الخوض في الدماء المحرمة ؛ فعليه أن لا يسفك دما بغير حق فإن ذلك أقرب شيء من نقمة الله ، وهو أعظم الجرائم تبعة ، وأحراها بزوال النعمة ، وانقطاع مدة الدولة .

ثم يؤكد عليه أن الدماء هي أول ما يقضي الله فيه بين العباد يوم القيامة فعليه أن لا يقوي سلطانه بدم محرم ؛ فإن ذلك عكس ما يظن الناس به فإنه يضعفه ، ويوهنه ، بل يزيله ، وينقله .

ثم يؤكد عليه بأنه لا عذر له عند الله ولا عند الإمام في قتل العمد ؛ لأن فيه قود البدن ، ويحذره بأن عليه حتى في الوكزة فما فوقها مقتلة ، فعليه أن يؤدي إلى أولياء من أخطأ في قتله أو معاقبته ما يلزم قاتل الخطأ .

يقول (تعَالَىٰ:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ النحل: ٩٠
)

ويقول (تعَالَىٰ:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥﴾ النساء: ١٣٥
)

ويقول (تعَالَىٰ:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ النساء: ٥٨
)

ويقول (تعَالَىٰ:﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩﴾ الحجرات: ٩
) ويقول

(تعَالَىٰ:﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾ ص: ٢٦

)

الإنصاف في المعاملة العدل بأن لا يأخذ من صاحبه من المنافع إلا مثل ما يعطيه ولا ينيله من المضار إلا كما ينيله(٥٣)

والنَّصَفَةُ: اسْمُ الإِنصافِ، وتفسيرُه أن تَعطِيَه من نفسِكَ النِّصْف أي تُعطي من نَفْسِك ما يَسْتَحِقُّ من الحَقِّ كما تأخُذُه.(٥٤)

والنَصَفَةُ والنِّصْفُ والنَصَفُ: اسْمُ الإنصافِ؛وهو أنْ يُعْطِيَه من نَفْسِه النِّصْفَ من الحَق. وانْتَصَفْتُ منه وتَنَصفْتُ؛ أخَذْتُ حَقّي منه كَمَلاً حَتّى صِرْتُ أنا وهو على النِّصْفِ سَوَاء. وتَنَصفَه تَنَصُّفاً: إذا طَلَبَ ما عِنْدَه وخَضَعَ له(٥٥).

وانتَصَفتُ منه: أخَذْتُ حَقّي كَملاً حتى صِرتُ وهو على النِّصْفِ سَواء

أنصف الشيء : أخذ نصفه ، وأنصف بين الخصمين : سوى بينهما ، وعاملهما بالعدل .

والإنصاف في اصطلاحنا هو : الشعور التلقائي الصادق بما هو عدل أو جور . ومنه قول المعري : الدين إنصافك الأقوام كلهم .

ويطلق أيضا على ما يعتاده الإنسان من التوفيق بين سلوكه وشعوره بالعدل ، فكل من جعل سلوكه مطابقا للمثل الأعلى للعدل كان منصفا .

والإنصاف في علم الحقوق : مقابل للتقيد بنص القانون ؛ لأنه عدل طبيعي ، لا عدل شرعي ، وهو أسمى من القانون الوضعي ، وأكثر مرونة منه .

قال (كوندياك) : الفرق بين الإنصاف والعدل أن الإنصاف يوجب الحكم على الأشياء بحسب روح القانون ، على حين أن العدل يوجب الحكم عليها بحسب نص القانون(٥٦).

---

٥٣) محمد عبد الرزاق المناوي / التوقيف على مهمات التعاريف / دار الفكر المعاصر / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤١٠ / المكتبة الشاملة .

٥٤) الخليل بن أحمد / كتاب العين

٥٥) الصاحب بن عباد / المحيط في اللغة / المكتبة الشاملة .

٥٦) المعجم الفلسفي / جميل صليبا / الجزء الأول / دار الكتاب اللبناني / ١٩٨٢م

((أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ، ومن خاصة أهلك ، ومن لك فيه هوى من رعيتك ، فإنك إن لا تفعل تظلم)).

بدأ بأهم واجبات الإنصاف وهي : إنصاف الله عز وجل من نفسه ، وذلك بالقيام بجميع حقوقه سبحانه ،الحقوق العبادية الاعتقادية ، والعملية وحقوق تتعلق بغير الله مع تعلقها بالله ؛ لكونه الآمر بها ، والمتوعد على الإخلال بها ، وهي حقوق العباد ، وحقوق الرعية على الوالي كثيرة ، وعظيمة .

ثم ذكر الدرجة الثانية في دعاء الإنسان ـ وخصوصا الولاة ـ إلى عدم الإنصاف ، وهم خاصة الأهل وهم أشد الأهل تعلقا بالوالي ، لما لهؤلاء من الأثر الكبير على قرارات الوالي وتعاملاته مع الناس ، فالاهتمام بالإنصاف منهم يزيح الكثير من الفساد والشرور عن كاهل الأمة وبدأ بالنفس لأنها أهم الداعين للإنسان إلى عدم الإنصاف وكذلك كما يجب أن ينصف ربه عليه أن ينصف الناس أيضا من نفسه وذلك بأداء ما عليه من

.

ثم ذكر الدرجة الثانية من الداعين للوالي إلى عدم الإنصاف وهم من له فيه هوى من الرعية ، وهم الأصدقاء ، وأصدقاء الأقارب ، ومن يظن الوالي أنهم يشكلون خطرا عليه إذا لم يرضهم ، أو من يظن أن لهم استطاعة في جذب قلوب الناس إليه ، أو صدها عنه .

وهذه الثلاثة الأصناف إذا استطاع الوالي أن ينصف الله والناس منهم ؛ فكل من عداهم الإنصاف منه أسهل ، بل لا كلفة فيه عليه ، ولا شيء غير الإنصاف من هؤلاء إلا الظلم .

((وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق ، وأعمها في العدل)).

حثه على أن يكون أحب الأمور إليه هو اختيار أوسط الأمور في الحق ومعنى هذا أن يكون الحق هو المعيار الأهم فإذا كان هناك أمور كلها حق ولكن أحدها أكثر أحقية من غيره فليختاره ، ولا يكتفي بأنه اختار حقا ، بل لا بد أن يكو خير الحق وأبينه

وفي العدل عليه أن يختار ما كان عاما شاملا ، بحيث أنه إذا كان غيره عدلا ، ولكنه في شموله أقل ؛ فليختر العدل الشامل للكثير على غيره .

((وليكن أبعد رعيتك منك ، وأشنأهم عندك ، أطلبهم لمعائب الناس ؛ فإن في الناس عيوبا ، الوالي أحق من سترها ، فلا تكشفن عما غاب عنك منها فإنما عليك تطهير ما ظهر لك ، والله يحكم على ما غاب عنك ، فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك)).

حثه على أن يبعد عنه من الرعية من لا وسيلة لهم إلى قلب الوالي إلا التنقيب عن عيوب الناس ، ويعلل ذلك بأن للناس عيوب ، وتحتاج إلى من يسترها ، وسترها فضل وخير الوالي أحق الناس به ، فمن يكشف له عيوب الناس إنما يبعده عن هذه الخيرية .

ثم يحثه على ستر ما غاب عنه من عيوب الناس ؛ فإنما أوجب الله عليه تطهير ما ظهر من العيوب ، دون المستتر ، ولو ـ قلنا إن هذا دستور شامل لكل قوانين المحافظة على خصوصيات الناس التي هي حقوق لهم وعقابهم في ما اقترفوا في سرهم على ربهم وعلى الدولة ما تظاهروا به من الأخطاء والمعاصي ـ لما أبعدنا عن الصواب.

((أطلق عن الناس عقدة[٥٧] كل حقد ، واقطع عنك سبب كل وتر[٥٨] ، وتغاب[٥٩] عن كل ما لا يضح لك ، ولا تعجلن إلى تصديق ساع ، فإن الساعي غاش ، وإن تشبه بالناصحين)).

أطلق عن الناس كل ما يبرم الأحقاد بينهم ، وأقطع ما بينك وبين الناس من أسباب مظالم الدماء ، وتغاب : أظهر الغباء عن كل ما لم يتوضح لك ، ويكرر تحذيره من السعاة الذين يرون في إظهار عيوب الآخرين سلما يرتقون به إلى قلوب الولاة ؛ فلا يظنن بهم الإنسان النصح ، وإن تشبهوا بالناصحين ، ففعلهم فعل الغاش .

---

٥٧) عقدة كل شيء إبرامه / الخليل بن أحمد / كتاب العين .
٥٨) والوتر والترة : ظلامة في دم / الخليل بن أحمد / كتاب العين .
٥٩) أظهر نفسك غبيا عن ذلك وإن لم تكن كذلك .

((ثم إن للوالي خاصة وبطانة[٦٠] ، فيهم استئثار وتطاول ، وقلة إنصاف في معاملة ، فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال .ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وحامتك[٦١] قطيعة[٦٢] ، ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة[٦٣] ، تضر بمن يليها من الناس ، في شرب أو عمل مشترك ، يحملون مؤونته[٦٤] على غيرهم ، فيكون مهنأ ذلك لهم دونك ، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة)).

ثم يحذره مرة أخرى من الخاصة ، مبينا ومفصلا هذه المرة أكثر من سابقتها ؛ فيقول : إن للوالي خاصة ، وبطانة ، فيهم استئثار ، وهو أخذ ما هو عام ، أو ما هو لهم ولغيرهم ، لهم خاصة ، من منفعة ، أو منصب ، أو غير ذلك ، وفيهم أيضا قلة إنصاف ؛ فهم يستوفون حقوقهم من الآخرين ، ولا يستطيع أحد الانتصاف منهم ، إلا ما ندرمن المعاملات ، فعليه أن يحسم مادة أولئك بقطع الاستئثار ، وإلزامهم الإنصاف ، وأن لا يعطي أحدا من حاشيته شيئا من أراضي الدولة وعقاراتها ، ولا يجعلهم يطمعون فيه في إبرام اتفاق بينه وبينهم ، أو بينهم وبين أحد من الرعية يكون فيه ضرر على من ورائهم ؛ فينتفعون بذلك دون الوالي ، ولا يسلم هو من إثم ذلك .

((وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد ، وكن في ذلك صابرا محتسبا ، واقعا ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع ، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه ، فإن مغبة[٦٥] ذلك محمودة)).

ألزم الحق من لزمه ، قريبا ، أو بعيدا ، وإن كان ذلك ثقيلا على النفس وتحتاج معه إلى صبر ، فإن نتائجه محمودة نافعة .

---

٦٠) وبطانة الرجل : وليجته من القوم الذين يداخلهم ويداخلونه في دخلة أمرهم
٦١) وهؤلاء حامة الرجل : أي أقرباؤه / الصحاح في اللغة للجوهري
٦٢) وأقطعه قطيعة من الأرض وقطائع : طائفة من أرض الخراج / الزمخشري/ أساس البلاغة
٦٣) عقدة كل شيء إبرامه / العين للخليل
٦٤) المؤونة : فعولة من مانهم يمونهم ، أي يتكلف مؤونتهم / العين للخليل
٦٥) غبت الأمور أي : صارت إلى أواخرها / الخليل بن أحمد / كتاب العين .

الشفافية وإصلاحها للرعية

((وإن ظنت الرعية بك حيفا[٦٦] فأصحر[٦٧] لهم بعذرك ، واعدل عنك ظنونهم بإصحارك ، فإن في ذلك رياضة منك لنفسك ، ورفقا برعيتك ، وإعذارا تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق)).

معظم الولاة لا يهتم بهذا الأمر ، وهو أن على الوالي كل ما ظن أن الرعية قد ظنت به سوءا أن يبين لهم عذره في ما ساء ظنهم به فيه ، وهذا يحتاج إلى الشفافية الكاملة بكل قوانينها .

الاستئثار

((وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة ، والتغابي عما تعنى به مما قد وضح للعيون ، فإنك مأخوذ منك لغيرك ، وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور وينتصف منك للمظلوم)).

ما كان الناس فيه شركاء فلا يكونن لك إلا مثل أحدهم

ثم حذره من التغابي عن ما هو ظاهر من الأمور فإنك مأخوذ منك لغيرك بمعنى أنك مسؤول عن ذلك مجازا عنه ، فلا تستبطئ عقوبة الله للظالمين والإنصاف منهم .

وقال أيضا : ((ولا تندمن على عفو ، ولا تبجحن[٦٨] بعقوبة ، ولا تسرعن إلى بادرة[٦٩] وجدت منها مندوحة[٧٠])).

ثم أعلمه أنه لا يكون منه ندم على عفو قط ، ولا فرح بعقوبة ؛ فلا يكونن العقاب منه إلا كرها .

وأن لا يسرع إلى ما يبدر من الشخص ، وهي القضية تحدث من صاحبها على غير اعتياد ، ولا سبق تخطيط .

---

٦٦) الحيف الميل في الحكم / الخليل بن أحمد / كتاب العين .
٦٧) ومن المجاز أصحر بالأمر وأصحره : أظهره ./ الزمخشري / أساس البلاغة .
٦٨) وبجحني فبجحت : أي فرحني ففرحت ./ ا للخليل بن أحمد /كتاب العين .
٦٩) والبادرة : ما يبدر من حدة الرجل عند الغضب / العين للخليل
٧٠) ومن ذلك لك عنه مندوحة ومنتدح : أي سعة وبد / الزمخشري / أساس البلاغة .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾
الكهف: ٦

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٣﴾ الشعراء: ٣

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٨﴾ فاطر: ٨

يقول الله تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝١٢٨﴾ التوبة: ١٢٨

ويقول (تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾ طه ٢
)

((وأشعر[٧١] قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم ، واللطف بهم ، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا[٧٢] تغتنم أكلهم ؛ فإنهم صنفان :إما أخ لك في الدين ،أو نظير لك في الخلق ، يفرط منهم الزلل[٧٣] ، وتعرض لهم العلل[٧٤] ، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ { قوله : يؤتى على أيديهم مثل قولك : ويؤخذ على أيديهم ؛ أي يهذبون ويثقفون ، يقال : خذ على يد هذا السفيه ، وقد حجر الحاكم على فلان وأخذ على يده[٧٥]} فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه)).

---

٧١) الشعار ما ولي الجسد من الثياب ./ الجوهري / الصحاح في اللغة .ومعناه اجعل رحمتهم ملاصقة لقلبك .
٧٢) وقد ضري الكلب بالصيد يضرى ضراوة : تعود ./ الجوهري / الصحاح في اللغة .
٧٣) والمزلة : الزلل في الدحض / الخليل بن أحمد / كتاب العين .
٧٤) والعلة حدث يشغل صاحبه عن وجهه . / الخليل بن أحمد / كتاب العين .
٧٥) ابن أبي الحديد / شرح نهج البلاغة بتحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم / ج ١٧ ص ٣٣ / دار إحياء الكتب العربية / الطبعة الثانية / ١٩٦٧ م ـ ١٣٨٧ هـ

أشعر قلبك الرحمة ، أي اجعلها كالشعار له ، وهو الثوب الملاصق للجسد ؛ قال : لأن الرعية ؛ إما أخوك في الدين ، أو إنسان مثلك تقتضي رقة الجنسية وطبع البشرية الرحمة له [٧٦].

ثم قال : فنسبتهم إليك كنسبتك إلى الله تعالى ، وكما تحب أن يصفح الله عنك ينبغي أن تصفح أنت عنهم[٧٧] .

((وليكن أحب الأمور إليك أوسطها[٧٨] في الحق ، وأعمها في العدل ، وأجمعها لرضى الرعية ؛ فإن سخط العامة يجحف برضى الخاصة ، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة)).

وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة[٧٩] في الرخاء[٨٠] ، وأقل معونة في البلاء ، وأكره للإنصاف ، وأسأل بالإلحاف[٨١] ، وأقل شكرا عند الإعطاء ،وأبطأ عذرا عند المنع ، وأضعف صبرا عند ملمات الدهر من أهل الخاصة)).

قال بن أبي الحديد : ثم قال ـ عليه السلام ـ ونعم ما قال : ليس شيء أقل نفعا ولا أكثر ضررا على الوالي من خواصه أيام الولاية ؛ لأنهم يثقلون عليه بالحاجات ،والمسائل والشفاعات ، فإذا عزل هجروه ، ورفضوه حتى لو لقوه في الطريق لم يسلموا عليه .

((وإنما عماد الدين ، وجماع المسلمين ، والعدة للأعداء ، العامة من الأمة ؛ فليكن صغوك[٨٢] لهم ، وميلك معهم)).

مسؤولية الوالي في كسب ثقة العامة

((واعلم أنه ليس شيء أدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم ، وتخفيفه المؤونات عليهم ، وترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم .

---

٧٦) شرح أبن أبي الحديد بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / ح / ١٧ / ص ٣٣ .
٧٧) نفس المصدر السابق .
٧٨) والوسط من كل شيء أعدله ./ الجوهري / الصحاح في اللغة .
٧٩) مر تفسيرها .
٨٠) الرخاء سعة العيش ./ الخليل بن أحمد / كتاب العين .
٨١) ومن المجاز ألحف السائل بسؤاله إذا شمل وهو مستغن عنه . / الزمخشري / أساس البلاغة .
٨٢) وصغوك إليه أي : ميلك . / الخليل بن أحمد / كتاب العين .

فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك ؛ فإن حسن الظن يقطع عنك نصبا[٨٣] طويلا .

وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده ،وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده)) .

قد ورد في الأثر (جبلت النفوس على حب من أحسن إليها) فأمير المؤمنين يحثه على الإحسان إلى الرعية ، الذين يفترض منهم الميل مع الوالي غير المنعم عليهم ، فكيف بمن ينعم عليهم ، وإذا أقبلت قلوبهم إليه كفي الكثير من العناء في إدارتهم ، وكانوا سراعا إلى أمره ، مجيبين لدعوته بقلوبهم قبل أبدانهم .

تعامل الوالي مع السائد من الصلاح

((ولا تنقضنَّ سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة ،واجتمعت بها الألفة ، وصلحت عليها الرعية.

ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن ، فيكون الأجر لمن سنها ، والوزر عليك بما نقضت منها)).

هنا حذره عليه السلام من نقض السنن الصالحة وهي العادات وما ساد بين الناس وكان أمرا صالحا ، وبين بعض ما يقصد بقوله (صالحة) بأنها اجتمعت بها الألفة ، وصلحت عليها الرعية ؛ لأنه كثيرا ما يحب الولاة نقض ما سنه من كان قبلهم من الولاة ؛إظهارا للتجديد ، وإيهاما أن كل ما كانوا عليه باطل وسيء .

الوالي والعلماء

((وأكثر مدارسة العلماء ، ومناقشة الحكماء ، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك ، وإقامة ما استقام به الناس قبلك)).

٨٣) ونصب الرجل بالكسر نصبا : تعب / الجوهري / الصحاح في اللغة .

العلماء هنا علماء الدين وكل من له معرفة بتخصص ما ، مما ينفع في التخطيط للمستقبل ، واستمرار الصلاح في البلاد ، والحكماء أهل الحكمة وهم من يضعون بتفكيرهم وحسن تدبيرهم كل أمر في موضعه الذي يليق به ، بلا تهور ، ولا تقصير .

طبقات الجمهور

((واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ، ولا غنى ببعضها عن بعض : فمنها جنود الله ، ومنها كتّاب العامة والخاصة ، ومنها قضاة العدل ، ومنها عمال الإنصاف والرفق ، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس ، ومنها التجار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة ، وكل قد سمى الله له سهمه ، ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنة نبيه ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ عهدا منه عندنا محفوظا)).

قسم الرعية إلى هذه الطبقات ليبين أهمية كل قسم منها وحقه على الوالي .

فمنها الجنود وهم ما يسمى في عصرنا بالجيش والأمن .

ومنها كتاب العامة والخاصة وهم : مكتب الرئاسة أو مكتب القائد أو مكتب المحافظ ونحوه .

ومنها القضاة وهم : معروفون

ومنها عمال الإنصاف والرفق ، وهم السلطة التنفيذية بكل أقسامها .

ومنها المزارعون المستأجرون لأراضي الدولة ، وأراضي الحق العام وهي : ما كان يسمى بالخراج .

ثم قطاع الصناعة والتجارة . ويدخل تحت الصناع كل أصحاب الحرف .

ما الذي يجذب مودة الرعية

((وإن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد ، وظهور مودة الرعية . وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم ، ولا تصح نصيحتهم

إلا بحيطتهم على ولاة الأمور وقلة استثقال دولهم ، وترك استبطاء انقطاع مدتهم ، فأفسح في آمالهم ، وواصل في حسن الثناء عليهم ، وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم ؛ فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع ، وتحرض الناكل[٨٤] ، إن شاء الله)).

قوله : وواصل في حسن الثناء عليهم ... ذكرني بمقطع روسي للحرب العالمية الثانية ملخص ما فيه في أثناء حصار لينن غراد أن السوفييت كانوا يرمون المنهزمين من ورائهم والألمان من قدامهم فكأنهم كانوا يتعاونون بهم ، ومع ذلك لم يستطيعوا التقدم ولا الدفاع .

وفي جلسة مشاورات بين القادة والضباط طلب الضابط من قائد المعركة الفاشلة الانتحار فنفذ ، وانتظر باقي الضباط الموت ؛ فتجرأ أحدهم وكلم الضابط الكبير ، وأخبره أنه لا بد من تغيير خطة الضغط بالقوة ، إلى التشجيع والإقناع ، وكانت الخطة هي : الإشادة بأحد الجنود الذي توارى بين القتلى ، واستطاع قنص عدد كبير من الألمان ، ونشر صوره في الصحف ، وتكريمه ؛ مما جعل ذلك داعيا لبقية الجنود لمحاولة الإنجاز ؛ ليظفروا بما ظفر به ؛ فكانت النتائج مبهرة وبخسائر أقل وهذا ما نبه عليه أمير المؤمنين قبل ذلك بزمن طويل .

((ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى ، ولا تضمن بلاء امرئ إلى غيره ، ولا تقصرن به دون غاية بلائه ، ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيرا ، ولا ضعة امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيما)).

وهنا حذره مما يقع بكثرة وهو الاهتمام بالمتنفذين ، إلى حد أن ينسب إليهم ما فعله غيرهم .

---

٨٤) نكل الرجل عن صاحبه إذا جبن عنه . / الخليل بن أحمد / كتاب العين .

((ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم ، من المساكين والمحتاجين ، وأهل البؤسى[٨٥] والزمني[٨٦] ، فإن في هذه الطبقة قانعا[٨٧] ومعترا[٨٨] ، واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قسما من بيت مالك ،وقسما من غلات صوافي[٨٩]الإسلام في كل بلد ، فإن للأقصى منه مثل الذي للأدنى ، وكل قد استرعيت حقه ؛ فلا يشغلنك عنهم بطر[٩٠] ، فإنك لا تعذر بتضييعك التافه لإحكامِك الكثير المهم)).

حثه على العناية بالطبقة السفلى من الناس ، وفسرهم بأنهم من لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين ، الذين لا يصلون إلى الولاة والموظفين ، وأخبر أن فيهم قانعا وهو : المتذلل للمسألة ، الذي لا يتحرج من طلب حاجته من الناس ، والمعتر الذي يتعرض للخير من الناس من غير أن يسألهم ؛فحثه على أن يحفظ ما استحفظه الله فيهم ، وأمره أن يجعل لهم قسما من بيت المال ، وكذلك من غلات ما استصفاه الإمام لنفسه من كل البلدان ، وبين بأن الحق فيه للقريب والبعيد على السواء ، وبين له أنه لن يعذر بما ضيع من الحقوق البسيطة ؛ بسبب اهتمامه بالكثير والكبير منها .

((فلا تشخص([٩١]) همك عنهم ، ولا تصعر[٩٢] خدك لهم ، وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ، ممن تقتحمه[٩٣] العيون ، وتحقره الرجال ؛ ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع ، فليرفع إليك أمورهم ، ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه ، فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم ، وكل فأعذر إلى الله في تأدية حقه إليه .))

ثم حثه على أن لا ينقل همه عنهم ؛ بأن يجعل اهتمامه بهم مستمرا ، ولا يتكبر عليهم ، وعليه أيضا أن يتفقد أمور من لا يستطيع الوصول إلى الوالي منهم ، وعليه أن يفرغ لهم من يثق به من أهل الخشية والتواضع ليرفع إليه أمورهم ، ويعمل فيهم بما يكون له العذر به عند رب العالمين

---

٨٥) وبئس الرجل يبأس بؤسا وبئيسا : اشتدت حاجته . / الجوهري / الصحاح في اللغة .
٨٦) الزمانة آفة في الحيوانات .ورجل زمن أي مبتلى بين الزمانة / الجوهري / الصحاح في اللغة
٨٧) وقنع يقنع قنوعا : تذلل للمسألة فهو قانع . / الخليل بن أحمد / كتاب العين .
٨٨) والمعتر الذي يتعرض ليصيب خيرا من غير سؤال . / الخليل بن أحمد / كتاب العين .
٨٩) وهذه صوافي الإمام وهي : ما يستصفيه من قرى من استعصى عليه . / الزمخشري / أساس البلاغة
٩٠) البطر : الأشر وهو : شدة المرح ./ الخليل بن أحمد / كتاب العين .
٩١) بمعنى لا تنقل همك عنهم انظر : الزمخشري / أساس البلاغة
٩٢) والتصعير إمالة الخد عن النظر إلى الناس تهاونا من كبر وعظمة :/ الخليل بن أحمد / كتاب العين
٩٣) واقتحمته عيني : ازدرته . / الجوهري / الصحاح في اللغة .

وأخبره بأن هؤلاء هم أحوج شرائح المجتمع إلى الإنصاف ، وعليه أن يعذر إلى الله في الجميع .

((وتعهد أهل اليتم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ، ولا ينصب للمسألة نفسه ، وذلك على الولاة ثقيل ، والحق كله ثقيل ؛ وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العافية فصبّروا أنفسهم ، ووثقوا بصدق موعود الله لهم . واجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك ، وتجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذي خلقك ،وتَقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك ، وشرطك ، حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع[٩٤] ، فإني سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ يقول في غير موطن (لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع)))

وهنا يطلب منه أن يتعهد أهل اليتم والعجزة والمسنون ممن لا يستطيع التصرف بما يفيد به نفسه وأخبره بأن ذلك ثقيل على الولاة وأن الحق كله ثقيل وأن الله قد يخفف هذا الثقل على من طلب العافية من عذاب الله وكذلك من وثق بصدق الله في ما وعدهم الله به

وأمره أن يجعل لهم مجلسا عاما يتفرغ لهم فيه شخصيا وأن يقعد عنهم جنوده وحرسه وأعوانه حتى يتمكن من يريد تكليمه منهم أن يكلمه غير مزعج ولا مقلق .

((ثم احتمل الخرق[٩٥] منهم والعي ، ونح عنهم الضيق والأنف[٩٦] يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته ،ويوجب لك ثواب طاعته . وأعط ما أعطيت هنيئا ، وامنع في إجمال[٩٧] وإعذار .))

نبهه على أن يحتمل الخرق منهم ، وهو عدم البصر بالأمور ، والجهل بها وكذلك أمره أن يتحمل العي منهم ، وهو عدم القدرة على التعبير عما في نفسه ، وأعلمه أنه باحتمال ذلك يوجب الله له ثواب طاعته ، ويبسط عليه

٩٤) و غير متتعتع غير مزعج و لا مقلق و المتتعتع في الخبر النبوي المتردد المضطرب في كلامه عيا من خوف لحقه و هو راجع إلى المعنى الأول / ابن أبي الحديد / شرح نهج البلاغة .
٩٥) وخرق يخرق فهو أخرق : إذا حمق . وخرق بالشيء جهله ولم يحسن عمله . / الخليل بن أحمد / كتاب العين .
٩٦) وأنف من الشيء أنفا وأنفة أي استنكف . / الجوهري / الصحاح في اللغة .
٩٧) وأجمل في الطلب إذا لم يحرص / الزمخشري / أساس البلاغة .

أكناف رحمته ، أي أطراف رحمته ، فيصير مضموما فيها ، وأعط ما أعطيت هنيئا ، أي لا يجعل مع العطاء ما يكدره ، وأمره إذا منع أن يكون ذلك منه في غير حرص .

((ثم أمور من أمورك لابد لك من مباشرتها : منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك ، ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تحرج به صدور أعوانك)).

هنا يعلمه ما هو الذي لا بد أن يباشره ؟ ولا يتركه للأعوان ، وجعل منها ما يعيا عنه الكتاب ، وهو ما يترددون في جوابه ، وكذلك إصدار حاجات الناس ، ويعنى بذلك إخراجها إليهم ، وذلك يكون إذا حرجت بها صدور أعوانه .

الاحتجاب

((وأما بعد ، فلا تطولن احتجابك عن رعيتك ، فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق ، وقلة علم بالأمور ؛ والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويقبح الحسن ، ويحسن القبيح ، ويشاب الحق بالباطل .))

كثيرا ما يحتجب الوالي عن الرعية ؛ طلبا للراحة ، وتجنبا لكثير من الحرج ، فأخبره أن ذلك جزء من الضيق ، والوالي ينبغي أن يكون عنده سعة ، وأيضا هو قلة خبرة وعلم بالأمور .

وأخبره أن الاحتجاب يجعلهم يرون الأمور بغير ما هي عليه ، فيقلبون المعلومات ، بتصغير الكبير ، وتعظيم الصغير ، وتقبيح الحسن ، وتحسين القبيح ، بعكس ما إذا كان الوالي متصلا بهم متى ما أرادوا .

((وإنما الوالي لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور ،وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب ، وإنما أنت أحد رجلين : إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق ، ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه ، أو فعل كريم تسديه ، أو مبتلى بالمنع ، فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤونة فيه عليك ، من شكاة مظلمة ، أو طلب إنصاف في معاملة)).

يحثه هنا على الاختلاط بالناس ويقول له : بأنه إذا كان بعيدا عنهم فلن يستطيع أن يعرف الصادق من الكاذب ؛ لأنه ليس هناك علامات على الحق والصدق ، والباطل والكذب ، ولن يكون ذلك إلا بالمخالطة التي تحصل مع كل الطبقات .

ثم يقول له : لماذا تحتجب ؟ فإن كنت سخيا في الحق ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه ؛ لأن السخي يفترض أن يجود بما لم يلزمه من الحقوق فضلا عن الحقوق اللازمة له ، وإن كنت مبتلى بالمنع بمعنى أنك بخيل فما أسرع ما يكف الناس عن مسألتك ، إذا إيسوا من بذلك ؛ فسيتركونك من غير أن تحتجب منهم

مع أن أكثر ما يحتاجه الناس منك مما لا كلفة فيه عليك ، فإن أكثرهم إنما يشكو مظلمة وقعت عليه ،أو يطلب إنصافا في معاملة .

المن على الرعية

((وإياك والمن على رعيتك بإحسانك ، أو التزيد[٩٨] في ما كان فعلك ، أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك ، فإن المن يبطل الإحسان ، والتزيد يذهب بنور الحق ، والخلف يوجب المقت عند الله والناس ؛ قال الله ـ تعالى ـ : (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)))

ما يفعله الإعلام مع الكثير من الرؤساء والملوك وغيرهم من الولاة هو المن على الشعوب بما لم يفعلوه لهم بل يمنون وأكثر أفعالهم هي الإضرار بالمواطنين أو إهمالهم وإهمال ما يجب أن يفعلوه لهم فما بالك بأن يتركوا المن بما فعلوه وهو الذي أراد أمير المؤمنين عليه السلام هنا ونها ه عن التزيد عليهم وهو التكلف في حديثه عن أفعاله وكذلك حذره عن أن يحلف موعدا وعدهم به وعلل ذلك بأن المن يبطل الإحسان ، والتزيد يذهب بنور الحق ويجعل ما كان جميلا من الفعل مشوها والخلف يوجب المقت عند الله وعند الناس وهو البغض من أمر قبيح ركبه[٩٩]

---

٩٨) والإنسان يتزيد في كلامه وحديثه إذا تكلف فوق ما ينبغي / الخليل بن أحمد / كتاب العين .
٩٩) الخليل بن أحمد / كتاب العين

الخاتمة

يعتبر العهد مسؤولية الحاكم العادل ؛ فعليه أن يرسم لمن هو تحت سلطته الخطوط العريضة ، ويرشده إلى كل أمر يحتاجه .وهو أشبه شيء بالدستور الذي ينطلق منه الوالي في إيجاد قوانين له ولمن تحته من رعاة ورعية .

المسؤولية الدينية تجاه الله من الأمور التي يجب أن يتحلى بها الوالي لما لذلك من أثر في إدارته للدولة ، وقيامه بما كلف به من المسؤوليات. وارتباطه بخالقه مما يجذب له النصر ، ويجعله يعتبر الإصلاح هو أهم ذخيرة يدخرها له للدنيا والآخرة .

عليه أن يعتبر بمن مضى قبله من الولاة ، ويعلم أنه سينتقد بما كانوا ينتقدون به ، ويمدح ويحمد بما كانوا يحمدون به ،وخصوصا ما يصدر من عباد الله الصالحين .

الوالي يجب أن يكون له صلة بربه قوية ؛ فيكون له في أوقاته قسطا من العبادة لربه فإنه إذا قام بحق الله الذي هو أوجب الحقوق ؛ فسيكون ذلك مسهلا للقيام بغيره من الحقوق .

يجب أن يتحلى الوالي بأخلاق مهمة ، وأن ينفي عنه الأخلاق الرديئة ؛ فلا يكتفي في الوالي بالمواصفات الوظيفية المعتادة ، بل لا بد أن يراعى فيه الكثير من الأخلاق التي أكد عليها أمير المؤمنين عليه السلام في العهد .

ما يصعب من المسائل والأمور فعليه أن يرده إلى الله ، والرد إلى الله هو بالرد إلى المحكم من كتابه ، وإلى الرسول ، والرد إلى الرسول هو بالرد إلى سنته الجامعة غير المفرقة ، وهي : السنة المتفق على روايتها بين الأمة .

على الوالي أن يكسر نفسه عن الشهوات ، ويصرفها عنها ، وأن لا يغتر بقوته وسلطانه ، وعليه أن يتذكر قدرة الله عليه ، وعظم ملكه جل وعلا وأن يعلم أن الظلم أدعى شيء إلى تغيير النعم ، وتعجيل النقم .

على الوالي أن يعتبر في من يستعين به ويستشيره ، أن لا يكون فيه بخل ولا جبن ، ولا حرص لما في ذلك من الضرر على الوالي في القرارات التي يتخذها .

مما يعتبر في الوزراء والموظفين ، أن لا يكونوا قد تولوا وتعاونوا مع الظالمين والطغاة السابقين ؛ لما في ذلك من شؤم الظلم الذي عاقبته الدمار والزوال الذي سينالهم ؛ ولأنهم غير مأمونين ، ولأنهم يجب أن يحاسبوا ويعاقبوا بدلا من أن يولوا .

عليه أن يقرب إليه الصالحين ، وأهل المرؤات ، والأحساب من أهل البيوتات المشهورة بالصلاح والسبق ، وأن يكون أقربهم منه منزلة وأعظمهم عنده جاها أقولهم بمر الحق له .

عليه أن يعتبر في قادة الجيش وولاته إضافة إلى المعتبر من الصفات أن يكون من أنصحهم لله ولرسوله وللدولة ، وأنقاهم جيبا ، من المشهورين بالحلم ، وعدم التسرع ، ممن يرأف بالضعفاء ، وينبو عن الأقوياء .

على الوالي الاهتمام بالجنود ، وأن يجعلهم كأولاده فيتفقد أمورهم تفقد الوالد ، وأن لا يهمل البسيط مما ينفعهم اعتمادا على القيام بالهام والكبير من أمورهم .

على الوالي أن يجعل معيار التقديم عنده للقواد هو القيام بأمر الجند ؛ فيقدم من القواد من كان مواسيا لهم ، موسعا عليهم وعلى من يخلفون من عوائلهم ورائهم .

عليه أن يفعل مبدأ الثواب والعقاب ، فلا يجعل المحسن والمسيء بمنزلة فإن ذلك يدرب المسيء على الإساءة ، ويفتر المحسن عن الاستمرار في الإحسان أو تكريره .

عليه أن يكون مستمرا في مناقشة العلماء ، وأهل الخبرات في ما يصلح أمر الدولة والأمة في حاضرها ومستقبلها .

يعتبر في القاضي صفات غير المتعارف عليه بين الناس فيجب أن يكون من أفضل الرعية ، ممن لا تضيق به الأمور ، ولا تمحكه الخصومات ولا

يستمر في زلة ، ولا يتضايق من العودة إلى الحق إذا عرفه ، ولا تتوق نفسه إلى المطامع ، ولا يكتفي بالقليل من الفهم بل يصل إلى أقصاه .

على الوالي أن يجعل للقضاة عنده من المنزلة ما يأمنون به من الإغراء عند الوالي ، وأن يجعل له من المال ما تقل معه حاجته إلى الناس .

وعليه أن يتعاهد قضائهم أي : يراجع ما يقضي به القاضي باستمرار .

عليه أن لا يعين من يعينه في أي وظيفة مجاملة ، ولا أثرة ، وهي أن يقدمه مع كون غيره أحق لقرابة أو نحوها . كما عليه أن يتخير أهل التجربة والحياء ، ثم ليسبغ عليهم الأرزاق ، وليرسل عليهم المخابرات الموثوقين فيكون متعاهدا لهم في السر والعلن .

عليه أن يتحفظ من الأعوان ، وأن يكون صارما مع من تثبت إدانته منهم فيسرع إلى معاقبته ، والتشهير به بما اقترف ؛ حتى يتحمل الجرم هو ويبرأ الوالي والدولة من ما اقترف .

عليه أن يهتم بالزراعة وحاجة المزارعين أكثر من ما يهتم بما يحصل منهم ، وأن يكون سمحا معهم ، متفقدا لكل أمورهم ؛ لكون معظم المسألة المادية متعلقة بهم وبصلاح زراعتهم ، وكثافة إنتاجهم ، وطيب نفوسهم .

عليه أن يجعل لكل أمر من الأمور رأسا من أعوانه ، وعليه عند اختيارهم أن لا يعتمد على فراسته فيهم ؛ فإنهم يتصنعون للولاة ، ولكن عليه أن يعتبر بما تولوا للصالحين قبله ، فيعتبر أكثرهم أثرا في العامة ، وأكثرهم معرفة بوجوه الأمانة . وعليه أن يعلم أن كل عيب ينسب إلى موظفيه فهو لازم له .

على الوالي أن يكون له اهتمام بالصناعات وأهلها ، وكذلك بالحرفيين وعليه أن يوصي بهم من تحته من العاملين ، كما عليه أن يراعي ويحفظ التجار في حال تنقلهم وتصديرهم واستيرادهم ، كما عليه أن يحرس الناس من جشع التجار ، وأهل الاحتكار منهم ، وأن يراقب الأسعار والموازين حتى لا يقع ضرر بتاجر ولا مستهلك .

شدد في ايصائه لواليه على الوفاء بالمعاهدات التي يقطعها مع العدو ؛ فلا ينقضها لضيق ضايقته به ، ولا يبحث عن مبررات للخروج منها ، ولا يدخل فيها ما يفسدها ، ولا يجعل فيها ما لا يتبين المراد منه

عليه أن يحذر من الدماء ، وإن ظن أنها تقوي سلطانه ، وليعلم أن العمد فيه القود وهو القصاص ، وأن عليه أن يؤدي ما تسبب فيه من الغلط من اللكزة فما فوقها .

عليه أن ينصف الله والناس من نفسه أولا ، ثم ممن له به قرابة قريبة ، ثم من كل من له فيه هوى من تابع ، أوصديق ، أو مقرب من قريب أو صديق .

عليه إذا تعددت الخيارات أن يختار من الأمور أوضحها وأقواها في الحق ومن العدل أعمه وأشمله .

عليه أن يحرص على إبعاد الواشين المنقبين عن عيوب الناس فإن للناس عيوبا الوالي أحق من سترها ، وعليه أن لا ينقب عن المستتر ، وعليه أن يتعامل مع الظاهر

للوالي بطانة وخاصة ، يتطاولون بسبب ذلك على الناس ، ويستأثرون بالخيرات والوظائف لهم ، وكذلك يسعون إلى الاستيلاء على أراضي وعقارات الدولة ، فعلى الوالي أن يقطع أطماعهم ، وأن لا يمكنهم من شيء من ذلك .

عليه أن يحرص على الشفافية في كل ما تظن به الرعية سوءا ، وأن يطلعهم على واقع الأمر عند كل ظن منهم ، أو حصول شائعة لما في ذلك من تقويمهم وإصلاح لنفس الوالي .

عليه أن لا يختص بشيء مما الناس فيه على السواء .

عليه أن يكون كثير الرحمة بالرعية سواء كانوا من أهل ملته أو من غيرهم ، فمن كان أخ له في الدين وإلا فهو نظير له في الخلق عليه أن يلحقه من عطف الإنسانية ما يصلح لمثله .

عليه أن يحذر من الخاصة ، وأن يعتمد على العامة والجمهور ، فرضاهم مهم في استتباب الأمن والاستقرار ، بعكس الخاصة ، فهم أكثر الناس ثقلا على الوالي في الرخاء ، واشدهم هروبا من إعانته عند الحاجة إليهم .

على الوالي أن يسعى إلى كسب ثقة العامة ، واستجلاب حسن ظنهم بكثرة احسانه إليهم ، وترك استكراهه لهم على ما لا يجب له قبلهم ، وتخفيفه المؤونات عليهم .

عليه أن لا ينقض سنة صالحة عمل بها الصالحون قبله ، واجتمعت بها ألفة الأمة ، وصلحت عليها الرعية ، وأن لا يحدث سنة تضر بماضي تلك السنن .

عليه أن يفسح في آمال الأمة ، وأن يواصل في حسن الثناء عليهم وذكر وتعديد ما أبلى ذوو البلاء ؛ فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل . وعليه أن يعرف لكل امرء ما فعل ، فلا يضمن فعل أحد إلى غيره ، ولا يدعونه شرف شريف أو نفوذ نافذ إلى أن يعظم من فعله ما ليس بعظيم ، ولا يدعونه ضعة امرء إلى أن يصغر من فعله وأمره ما كان عظيما .

عليه أن يهتم بالطبقة السفلى من الناس ، من الزمنى ، وشديدي الفقر سواء كانوا ممن يعتاد السؤال ويجاهر به ، أم ممن يتعرض للمسألة ولا يصرح بها ، وأن يخصص لهم من بيت المال ، ومن صوافي غلات الإسلام جزءا معينا ، وعليه أن يفرغ لهم شخصا ممن يثق فيه في دينه وإخلاصه ؛ ليقوم بحاجتهم ، وسد خلتهم .

كما أن عليه أن يقرر لهم مجلسا عاما يتمكنون فيه من الاتصال به ، وأن يُقعِدَ عن صدهم الحراس والأعوان ؛ حتى يستطيع أن يكلمه متكلمهم غير أن يكون هناك ما يزعجه أو يقلقه . ثم ليحتمل منهم الخرق ، والعي ، ولا يحملنهم على ما يجعلهم يتضايقون أو يأنفون .

عليه أن يحذر من كثرة الاحتجاب عن الرعية ؛ حتى يتمكن من سماع ما يريدونه ، وسماعهم ما يريد ، وما يعتذر به في كل أمر من أموره .

عليه أن يحذر من المن عليهم ، منه أومن وسائل إعلامه بما يلزمه القيام به ، أو أن يخلف موعدا وعدهم به .

المصادر

١ ـ معجم القواعد العربية لعبد الغني الدقر / المكتبة الشاملة .

٢ ـ المعجم الفلسفي / للدكتور جميل صليبا / دار الكتاب اللبناني .

٣ ـ المعجم الفلسفي / إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة / الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية / ط ١٩٨٣ م .

٤ ـ أساس البلاغة تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري / المتوفى ٥٣٨ هـ تحقيق محمد باسل عيون السود / دار الكتب العلمية /.بيروت ـ لبنان .

٥ ـ شرح نهج البلاغة / لابن أبي الحديد / تحقيق محمد إبراهيم / دار الكتاب العربي / بغداد .

٦ ـ نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده / دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت ـ لبنان .

٧ ـ كتاب العين مرتبا على حروف المعجم / تصنيف الخليل بن أحمد الفراهيدي / المتوفى ١٧٠ هـ / ترتيب وتحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي / المدرس بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة / دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان .

٨ ـ الصحاح تاج اللغة ، وصحاح العربية / تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري / تحقيق أحمد عبد الغفور عطار / دار العلم للملايين ـ بيروت .الطبعة الأولى القاهرة ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٦م .

٩ ـ التوقيف على مهمات التعاريف / محمد عبد الرزاق المناوي / دار الفكر المعاصر / بيروت / الطبعة الأولى - بيروت / المكتبة الشاملة .

١٠ ـ المحيط في اللغة / الصاحب بن عباد / المكتبة الشاملة .

التوصيات

١ ـ أوصي بأن يكون هناك دراسات مستقبلية ، متأنية ، من قبل باحثين في شتى المجالات للعهد العلوي ، ومحاولة استنتاج وتطبيق ما يصلح مع مؤسسات الدولة والعصر الحاضر .

٢ ـ أن يكون هناك شفافية كاملة في جميع مؤسسات الدولة بإمكان أي باحث أو صحفي أو خطيب أن يطلع عليها ، ويناقش المؤسسة على ضوئها ، أو يطرحها على الجمهور ليكون عونا له عليهم .

٣ ـ إصلاح جميع القوانين التي ينفذ منها الفاسدون ، وسد كل الثغرات التي ينفذون منها .

٤ ـ تنقية المؤسسات من كل الموظفين السابقين الذين سبق لهم مشاركة في ظلم المجتمع ، أو إهمال ما علق عليهم من المسؤوليات ، أو ثبوت اشتراكهم في أي فساد ، أو ثبوت تغاضيهم عنه .

٥ ـ إيجاد جهة رقابية على القضاء من خارجه ، تتعلق إما برئاسة الجمهورية ، أو بأي أقسام المخابرات .

٦ ـ إضافة بنود إلى المواصفات الوظيفية في كل القطاعات والمؤسسات تعتبر وتلزم بالتحلي بالأخلاق الحميدة المذكورة في هذا العهد ، وتجنب الأخلاق السيئة المحذر منها في هذا العهد أيضا ، وجعلها جزء مما يعتبر في قبول الموظف أو ترقيته .

٧ ـ إنشاء قسم في المخابرات العامة (الأمن القومي ، أو الأمن السياسي) يعنى بالرقابة على الموظفين ، ويكون بديلا عن مؤسسات مكافحة الفساد بحيث يمكنه مراقبة جميع المؤسسات بشكل مستمر وسري ، وتمكينه من اتخاذ إجراءات صارمة ، واعتبار الفساد يساوي الخيانة العظمى .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله

عبد الله بن محمد الشاذلي